

وقد كاتب الشاعر العصري الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي ومدحه بقصيدة
مطلعها :

بحور الهوى قد اغرفت كلّ ساجٍ وقصّر في ميدانه كلّ راجح
فاجابه الشيخ ناصيف عليها بقصيدة من بحرها ورويا منها قوله في مدح جرجس
ايلا :

هويتُ الذي اعطى العلومَ فؤادهُ فأعطتهُ منها ساعاً بعد بارح
تيمّنتُ باسمِ الحضرةِ وطالما ترى المرءَ لا يخلو اسمهُ من لوائح
وجدتُ به بل منه شعةُ سامعٍ ويا حبذا لو نلتُ رؤيةَ لامح
به حدثتُ عيناى أذني ورّجها تُخصّصُ بالإقبالِ بعضَ الجوارح

فهذه نبذة وجيزة من اعمال أسرة ايلا الفاضلة تنمّي للخلف من ابناءها ان يسيروا
على ادراج اسلافهم لاسيّا في استمساكهم بعرى الدين فيزيدوا على فضلهم فضلاً
ويكونوا لوطنهم فخرًا

بعض اديار مصر القديمة

لمحضره الاب ميخائيل جوليان اليسوعي (نمته)

• دير الفاخوري

بين الرمال التي تمتد في سفح سلسلة الجبال اللبنيّة على بعد ٢٠ كيلومتراً شمالي
شرقي اسنا دير قديم لا يسكنه ديار تدل آثاره الباقية على اتساعه وماضي عظمته
مع أنّ الكتب العديدة التي نُشرت في القرن المنصرم عن بقايا مصر لم تتعرّض
لذكره. أمّا الاقباط الذين يسكنون وادي النيل من الاقصر الى اسوان فهم يعظمونه
ويحجّون اليه زرافاتٍ يوم عيد الراهب القديس الذي شرّقه بفضائله وكراماته اعني
القديس متى الفاخوري. وهم يزعمون أنّ احد ملوك الحبش ابنتى هذا الدير شكر الله
على شفاء ابنته المدفنة على الموت بشفاعته متى المذكور

ودونك ما ورد عن هذا القديس في السنكسار القبطي الذي نقله الى الالمانية

المستشرق وَسْتِنْفَلْد (ص ١٥٨) في اليوم السابع من شهر كيهك قال: «وفي هذا اليوم انتقل الى دار الخلد الفقير القديس متى وكان رئيساً على دير في جبل اسنا ممتازاً بأعمال البر والصلاح وكان يطرد الشياطين ويشفي كل المرضى الذين يدعو لاجلهم باسم الرب». ومن معجزاته ان قوماً اتوه بامرأة لم يُعرف لدائها دواء فادعى اليه الروح القدس بان مرضها عقاب خطيئة اجترحتها وهي انها اقترنت باخوين تنالاً فاضطرت الى ان تبوء باثماً علناً فلا القديس عليها صلاة وما كاد ينتهي من دُعائه حتى خُسفت بها الارض وصارت عبدة للحضور... وكانت سباع البر وضواري الوحوش تأتي القديس فتقتات من يده... ولماً وافاه الاجل انتقل بسلام الى مقر الابرار»

وقد ذكر الشيخ ابو صالح الارمني (١) متى الراهب وهو يدعوهُ متيوس العابد ويروى عنه انه صار اسقفاً على اسنا وانه لما قدم البلد خرج الناس بين نصارى ومسلمين لاستقباله. وفي معرض كلامه يذكر اختلاف الاهلين في ناحية اسنا مع اختلاف الاديان فقال ما حقه: «وفي اعراس المسلمين وافراحهم يحضروا النصارى ويقرأوا قبطياً صعيدي ويمشوا قدام العريس في اسواقها وشوارعها وصار هذا عندهم عادة مستقرة الى عصرنا نحن. وفي ليلة عيد الميلاد المقدس من كل سنة يوقدوا المسلمين والنصارى شموع ومصابيح واحطاب بحملة كبيرة» انتهى

(قلت) وهذا كل ما امكنتني جمعه عن ترجمة الراهب متى الفاخوري وديره الذي قصدت زيارته لاصف آثاره

وكان دليلي الى هذا الدير رجلين من ذوي الأُنس واللفظ احدهما من تلامذتي الأقدمين وهو اليوم ناظر البريد في اسنا. والآخر كاهن قبطي اورثوذكسي يتولى ابوه (وهو كاهن مثله) امر هذا الدير ويديره مفااتيحه

ولما قطعنا مسافة ثلاثة ارباع الساعة من اسنا عثرا فوق قلعة جرداء على صفائح من الحجارة مكتوبة بالخط الهيروغليفي وعندها اساس حيطان ضخمة وهي اطلال هيكل قديم كان مشيداً لاله خنوم. وقد وجد ثمت بعض الآثار قيل ان من جملتها رسم منطقة البروج وفي الكتابات اسماء القياصرة وبعض الشعوب الشرقيين كالفرس

والقدونيين وغيرهم . واهل هذه الناحية يدعون هذا المكان باسم دير الحجر اشارة الى ان هذا الهيكل بُجِلَ ديراً على عهد النصرارى

وكانت طريقنا في ارياف على حدود صحراء مجدبة يغطيها الرمل . ولم تزل سائرين حتى لاح لنا الدير في وسط الرمال على مسافة كيلومتر من الارض المزدرة وهو عبارة عن ابنة عظيمة تجاورها قبور نصرانية بيضاء كالثلج لطيفة المنظر

ولا يختلف دير القاخوري في هيئته عن بقية الاديار القبطية المبنية في صحاري مصر فله مثلها سورٌ رحبٌ مرصوص البنيان منيعٌ يكتنف معاهد الدير وبرجاً مربعاً واسعاً يتحصن به الرهبان عند الحاجة ويشرف على كل الدير وملحقاته . وبما بقي منه الى عهدنا يُستدل على انه كان من اعظم اديار مصر القديمة . ولا نشك بان رياضاً فسيحة كانت تحدد بأسوارها فلم يبق منها اثر . واليوم ترى الفلاحين يقصدون جوار الدير ليستخرجوا من تحت رملهِ تربة يدعونها بالسباخ غنية بملح النطرون والسماد النباتي ينقلونها على جمالهم ويصلحون بها مزارعهم

وابنة هذا الدير كلها بالآجر او بنحيت الحجارة وهندستها احكم من سائر الاديار واتقن صنيعاً . وترى آجر الحيطان بُجِلَ سافات على صفين صف منها قائم كما في العقود والقباب وصفٌ مسطح بالتتابع . والابواب على الغالب مبنية بنحيت الحجارة الجسية ترتبها الافاريز والطشوف او نقوش من الآجر المختلف الالوان نَحْصَ بالذكر فيها باب المشى الاوسط الذي يُدْخَلُ منه الى حَجَرِ النوم . وهذه الحَجَرِ كما سبق القول تشمل من ستر الى ثماني دكك من الحجارة لاصقة بالحيطان كان الرهبان يتخذونها كسرّة ينامون فوقها . اما البرج فهو ذو ثلاث طبقات كلها مقببة وثيقة العقد يصعد اليها بدرج صبر على آفات الزمان

وكذلك الكنيسة فان الدهر لم يُنْجِنَ عليها كسائر ابنة الدير وهي تمتاز بخرقة بناها وجمال نقوشها . ويُستدل على انها سبقت الفتح الاسلامي بهندستها الشبيهة بالكنائس اللاتينية . فان سوقها الوسطى تعلوها قبة واسعة قائمة على اربع دعائم متينة وامام السوق رواق وعلى جانبيه سوقان اخريان صغيرتان . ومن جهة الشرق يلحق بقوس القبة خورس الهيكل يرى من جهتيه مصلبان على شكل جناحي الصليب . وبازائه القدس على طرز حنيّة . وكل الكنيسة مزدانة بصور القديسين منها ما يمثل اشخاصهم

بتأما ومنها نصفية مدورة الشكل وهذه الصور لا تخلو من الاتقان وان يكن طمس الدهر بعض محاسنها . وفي المصلى الشمالي صورة للبتول الطاهرة يكرمها الزوار غاية الأكرام ألا ان سناج الشمع سودها فلم يكد يترك لها اثرأ

وقد بنى الاقباط في تولي الازمنة امام القدس حائطاً نصفياً يفصل المقدس عن صحن الكنيسة كما هو جارٍ عندهم في كنائسهم المستحدثة . ولهذا الحائط باب ينفذ الى الهيكل . وحول الباب افرز ثاقب يبرز منه في جهتيه قرنان دقيقا الصنعة لعلهما اشارة الى القرنين النوريين اللذين ظهرا على جبين موسى الكليم بعد مناجاته له تعالى وفي شمالي هذه الكنيسة بيعة أخرى غفل من النقوش بُنيت على الطراز القبطي وهي عبارة عن سوق مفردة وجهتها من الشمال الى الجنوب ينفذ اليها عدة معابد مقابلة للشرق

وحضيض الكنيستين مفروش بالحصر وناهيك بذلك دليلاً على ان الزوار لا يزالون حتى يومنا يترددون اليها في بعض المواسم وانما يتوارد الحجاج اليهما خصوصاً في السابع من شهر كيهك الواقع فيه عيد متى الراهب ويحيون فيهما الليل بالصلاة وفي ظاهر الدير على مسافة ربع الساعة منه بقايا كوخ حثير مبني بالآجر موقعه وسط الرمال زعم الكاهن دليلنا ان ثمت كان يعيش متى العابد قبل ان يشيد له ملك الحبش هذا الدير

وكان رجوعنا الى اسنا على ضفاف النيل ومرورنا في طريقنا على اسفنت (اسفينيس القديمة) وهي اليوم قرية كبيرة تُرى فوق قلعة دكناء تتركب من اطلال قلبها ارباب العاديات ظهراً لبطن رغبة في الآثار القديمة المطمودة فيها . وفوق البيوت صف من ابراج واسعة بُنيت للحمام فيخال للرائي ان هذه البلدة قلعة حريزة . وبعد سير حثيث بلغنا آخرأ نهر النيل عند مطاا وهو لقصى ما يُرى من معامل السكر في جنوبي مصر

٦ اديار شتى

لا حاجة الى الافاضة في وصف اديرة عديدة قديمة العهد زرناها في وادي النيل فوق القاهرة فان هذه المقامات لا تختلف كثيراً عما مررنا وصفه فكنتني بذكر ما تفرّد به بعضها فقط

(دير الحَمَام) موقعه في ناحية الفيوم على حدود الريف يبعد نحو نصف الساعة عن هرم اللاهون ذلك البناء العجيب الذي ناطح الدهر بقرنه فصر على بوائقه منذ ألوف اعوام وهو مع ذلك مبني بسافات من السباع دون الحجر. وهذا الدير خلو من الرهبان يقصده الحيرة في بعض الاعياد وقد جدد بناؤه منذ بضعة قرون فشيّد بأنقاض دير آخر اقدم عهداً واوسع بناء تُرى في الحضيض منه آثار بَيّنة. وهندسة الكنيسة على طراز الكنائس الروميّة التي سبقت الفتح الاسلامي. اعني انهم جعلوا بازاء الحنية الشرقية حنية أخرى على شكل نصف دائرة اصغر منها وجهتها المغرب. وقد شاهدنا مثل هذه الحنايا الثانويّة في اديار اخرى قديمة تُرى في اسفل كنائسها منها دير القديس سمعان او الانبا هدرًا قريباً من اسوان

وفي هذا الدير وجد العلامة الاثريّ فلندرس پتري (Flinders Petrie) سنة ١٨٨٩ عدداً وافراً من كتابات البردي يوتقي عهدها الى القرنين الثامن والتاسع للمسيح ينوط معظمها باحوال الدير الزمئيّة وفي جلّتها قطعة من رسائل الحواريين القديسين يعقوب ويهوذا كُتبت بلغة اقباط اخميم وقد نُشر كل ذلك بالطبع في لندن (١)

(دير الجبال السبعة) هكذا دعا العلامة القريريّ ديراً قديماً موقعه في وادٍ قفرٍ شرقيّ اخميم على مسافة ثلاث ساعات منها. والاهلون يدعونه شيخ شاغون. وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين انه دير نسطوريوس ولا نعلم على اي سند يدعمون قولهم. اجل ان نسطوريوس بعد نفيه في احدى واحات الصحراء الليبية نُقل الى اخميم وقضى فيها اجله ولكن ليس لدينا شاهد انه حُبس في هذا الدير او في غيره. وفي مُنْفَرَجٍ للوادي الذي يُفضي بالسائر الى الدير على يمينه صخرة كبيرة تدحرجت من الجبل يستظل تحتها السابلة. وفي وجه هذه الصخرة الاسفل عدة كتابات ورسوم تشبه آثار وادي مَكْتَب الشهيرة في شبه جزيرة سينا. وهي عبارة عن خطوط حفرها المسافرون برووس المُدَى. ومعظمها باللغة اليونانية تحتوي في الغالب على اسم الكاتب



الذي خطها وبينها صلبان وشعار اسم المسيح
مع صور عدة حيوانات جبلية كالغزلان
والاكباش البرية الخ

وهذا الدير من صنف الناسك المعروفة باللورا (laure) كان الرهبان يعيشون فيها
معتزلين عن بعضهم يجتمعون فقط في الكنيسة التي ترى آثارها وبعض نقوشها في مضيق
الوادي في اسفله. أما مآري الرهبان فكانت في صخور الجبل منقورة فيه يركب بعضها
فوق البعض وهي صعبة المرتقى
وتمأ حمل النسك على اختيار هذا الوادي ان في قعره عيناً كانوا يستقون من
مياها. وكذلك على مسافة نحو ربع الساعة من هذا المكان عين أخرى لكنها بكية
قليلة الماء.

ومن الاديار التي ذكرها المقرئ (١: ٥٠٤) «دير القرس» زعم انه على مسافة
ثلاث ساعات من دير السبعة الجبال شرقاً وانه «في اعلى جبل قد نُقِر فيه ولا يعلم
له طريق بل يُصعد اليه في نقور في الجبل وتحت ماء عذب واشجار ريان». وقد بحثنا
عن هذا الدير وسألنا عنه اهل اخميم في هذه الناحية فذهبت مساعينا ادراج الرياح
(دير مار جرجس) هو على ضفة النيل الشرقية على بعد ساعة من اخميم وفي
مكانه اليوم قرية صغيرة يسكنها النصارى. وكنيسة هذا الدير قديمة وهي احسن
مثال لهندسة كنائس الصعيد المشيدة بعد العهد اليوناني الروماني اعني ان لها سوقاً او
سوقين تمتدان من الشمال الى الجنوب وتعلوها القبة المركبة فوق دعائم مربعة جعلت
على مسافات متناسبة بعضها من بعض. وفي جهة الشرق سوق ثالثة كل قوس من اقواسها
معيد يفضي الى السوق المجاورة وذلك على عدد وتر والمعد الاوسط اوسع من غيره
واكثر زينة ينتهي على شكل نصف دائرة مقوسة وفيه الهيكل الذي تُقام عنده
الرتب الدينية. والمعابد التي على جوانبه واروقة الاسواق التي بازائه مختصة بالنساء وتفصلها
حواجز (شعريات) من الحشب المشبك او من الآجر ذي النوافذ. والباب الكبير
في الغالب على جانب الهيكل او بازائه. ولمعابد النساء بابان خصوصيان. أما جرن العباد
والفرن الذي يجبر فيه خبز الهيكل والموفه فكانها غالباً في المعابد المذكورة

وهذه الكنائس القبطية مبنية بالعرض بالنسبة الى محور الحنية او الهيكل بخلاف
كنائسنا اللاتينية التي تمتد بالطول. وهي هندسة تجعل لكنائس الاقباط هيئة غريبة
كأنها حوائط سوق جعلت معابد للصلاة
ومأ يطلعنا على صورة الكنائس القبطية قبل ثلاثة عشر قرناً كنيسة دير انبا
بادا او بساتيس بازا. مدينة المنشية المعروفة سابقاً باسم بتولانيس هزميو وفيها بقرب
الهيكل حجرة تحوي ذخائر القديس الذي على اسمه بُنيت الكنيسة. وهذا القديس كان
اسقاً على المنشية وعيده عند الاقباط الكاثوليك في ٢٧ كيهك. وكذلك كنيسة
دير انبا باخوم (بوخوميوس) شمالي شرقي الكرنك يزعم الفلاحون الذين يشتغلون
في املاك ذلك الدير ان فيها جسد القديس باخوميوس. وكذلك ايضاً كنيسة دير
الشهداء او دير امونيوس على بعد ساعة من اسنا في جنوبها الشرقي وفي كل هذه
الكنائس نقوش رائعة تترقى الى ذلك العهد وكلها مبنية بالعرض على النمط المذكور
سابقاً (تَمَّت)

موسى على النيل

مرّبة من قصيدة شهيرة لفكتور هوغو الشاعر الفرنسي بقلم جناب الاديب الفاضل
يوسف ابي سليمان مدرّس البيان في كاتبة القديس يوسف

فكرت ابنة فرعون الى النهر لتنتسل
وكانت جوارحها سائرات على شاطئ
النهر (سفر الخروج ٥: ٢)

موشح

اللازمة

أخواتي الماء قد حاكي السّما بصفاء راقٍ عند الفلّس
طلع الصبحُ بوجهٍ كما فدا الماء بشعرٍ العس
يا لها من ساعةٍ فيها أنتضي نضلّ صبحٍ شقٍّ أسدال الدّجى
وجلا عنا غيومَ المَضضِ إذ اتانا بجبينٍ ألبجا
لم يزل حصّادنا في ربّضٍ ليس إنسٌ نحو ريفٍ عرجا
صوت منفٍ لم يزل منكما ونسيمُ الصبحِ يُخي الانفسِ